خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٤ من ربيع الأول ١٤٣٦ هـ / ٢٦ من كانون الأول ٢٠١٤ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

أبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن الطلب إلا منك، ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا في طاعتك، ومن الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم.

اللهم تتابع برك، واتصل خيرك، وكمل عطاؤك، وعمت فواضلك، وتمت نوافلك، وصدق وعدك، وحق على أعدائك وعيدك، فلم تبق حاجة لنا إلا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله، يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

معاشر الإخوة: كل مفقود عسى أن تسترجعه إلا الوقت، فهو إن ضاع لم يتعلق بعودته أمل، ولذلك كان الوقت أنفس ما يملكه الإنسان، وكان على العاقل أن يستقبل أيامه استقبال البخيل للثروة الرائعة، إن الإنسان العاقل يُغالي بالوقت مغالاة شديدة، لأن الوقت عمره، فإذا سمح بضياعه وترك العوادي تنهبه فهو يَنتحر بهذا المسلك الطائش، إن الإنسان ليسير حثيثاً إلى الله، وكل دورة للفلك تتمخض عن صباح جديد لَيست إلا مرحلة من مراحل الطريق الذي لا تَوقف فيه أبداً، أليس من العقل أن يدرك المرء هذه الحقيقة، وأن يَجعلها نصب عينيه حتى يَستبين ما وراءه وما أمامه؟ مِن الخدع –يا سادة– أن يحسب المرء نفسه واقفاً والزمن يسير، إنه خداع النظر حين يخيل لراكب القطار أن الأشياء تجري وهو جالس، والواقع أن الزمن يَسير بالإنسان نفسه إلى مصيره المحتوم، فالإسلام دين يَعرف قيمة الوقت ويُقدر خطورة الزمن، إن عمرك رأس مالك الضخم، ولسوف تُسأل عن إنفاقك منه وتصرفك فيه، فقد روى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن

شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه) قال الإمام الشافعي ﷺ: صحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر. وهذا صحيح، فإن النفس لا تهدأ، إذا لم تدر في حركة سريعة من مَشروعات الخير والإنتاج المنظم لم تَلبث أن تنهبها الأفكار الطائشة وأن تلفها في دوامة من الترهات والمهازل، إن الحق إذا استنفذ ما لدى الإنسان من طاقة مختزنة لم يجد الباطل بقية يَستمد منها، وإذا استولى على عقله ولُبِّه فلا مَجال لوساوس اللهو وهواجس الريبة، ويتساءل "ديلكا رينجي" ما السبب في أن أمراً هيناً كالاستغراق في العمل يَطرد القلق؟ السبب في ذلك هو أحد القوانين الأساسية التي اكتشفها علم النفس، وهو من المحال لأي ذهن بشري مهما كان خارقاً أن يَنشغل في أكثر من أمر واحد في وقت واحد، وهذا صحيح، وهو قريب من قول الله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤] إنك كما تعجز عن تشغيل شيئين في وقت واحد فكذلك تعجز عن الجمع بين إحساسين متناقضين.

يا سادة: إننا على أبواب استقبال عام ميلادي جديد، فهل نَقف على أطلال العام الذي مَضى لنندب فيه حظنا ونَبكي على ما أصابنا من حزن وأسى، أم أننا نَستقبل عامنا الجديد وأيامه القادمة بالعمل الدؤوب المصحوب بالناجح والعزيمة الصلبة التي لا يَعرف الوهن إليها سبيلاً، لا ينبغي أن نبكي على شيء مضى وفات، وهذا ما نبه إليه القرآن الكريم بعد أُحُد، قال للباكين على القتلى النادمين على الخروج إلى الميدان، لو بقيتم في بيوتكم ما طالت لكم حياة ولم يبق لكم أجل، ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] فعلام هذا النحيب الممقوت، إن الطائرة تسقط من الجو بما فيها ومن فيها، فإذا القدر الرائع يَتكشف عن جُثث محترقة، وعن أطفال ورجال لم يمسسهم سوء، فلماذا لا نَعترف بالقدر الأعلى فيما يقع، ونرده عليه ما يَغلبنا على أمرونا لنكون من ذلك السلوى ورضى، إن "ديلكا رينجي" يَلجأ إلى العقل ليصل بنا إلى هذه الغاية فيقول: "من الممكن أن تحاول تعديل النتائج التي تَرتبت على أمر حَدث مُنذ مائة وثمانين ثانية، أما أن تحاول تغيير الزمن فهذا هو الذي لا يُعقل، وليس ثمة إلا طريقة واحدة يمكن بواسطتها أن تصبح الأشياء

ماضية إنشائية مُحدثة، تلك هي تحليل الأخطاء التي وَقعت في الماضي والاستفادة منه، ثم نسيانها نسياناً تاماً" قال: "كارنيجي" حدثني "سوندر" أن مستر "بارنغوين" مُدرس الصحة بكلية "جورج واشنطن" علمه درساً لن يَنساه أبداً، ثم قَصَّ علي قصة هذا الدرس فقال: –تأمل أيها المسلم إلى هؤلاء الفلاسفة، كيف يُفكرون وكيف ينظرون– قال "سوندر": لم أكن بعد قد بلغت العشرين من عمري، ولكني كنت شديد القلق حتى في تلك الفترة المبكرة من حياتي، فقد تعودت أن أجتر أخطائي وأهتم لها هماً بالغاً، وكنت إذا فرغت من أداء امتحان وقدمت أوراق الإجابة أَعود إلى فراشي فأستلقي عليه وأذهب فَأفرد أظافري وأنا في أشد حالات القلق خشية الرسوب، لقد كُنت أعيش في الماضي وفَيِمَ صَنعته فيه وأود لو أنني صنعت غير ما صنعت، وأفكر فيم قلته في زمن مضى وأود لو أنني قلت غير ما قلت، ثم إنني في ذات صباح وأنا أقف مع زملائي، جاء المدرس "براندون" ومعه زجاجة مملوءة باللبن وضعها على المكتب، وتعلقت أبصارنا بهذه الزجاجة، وانطلقت خواطرنا تتساءل، ما صلة اللبن بدروس الصحة، وفجأة نهض المدرس ضارباً زجاجة اللبن بظهر يده، فإذا هي تقع على الأرض ويراق ما فيها، وهنا صاح المدرس: لا يبكي أحدكم على اللبن المراق، ثم نَادانا الأستاذ واحداً واحداً لنتأمل الحطام المتناثر والسائل المهدور على الأرض، ثم جعل يقول لكل منا: انظر جيداً، إنني أريد أن تذكر هذا الدرس مدى حياتك، لقد ذهب اللبن واستوعبته البالوعة، فهما تَشُدَّ شَعرك وتَسمح للهم والنكد أن يُمسك بخناقك فلن تَستعيد مِنه قَطرة واحدة، لقد كان بشيء مِن الحيطة والحذر أن نتلافى هذه الخسارة، ولكن فات والوقت، وكل ما نَستطيع أن نفعله هو أن نَمحو أثرها وننساها، ثم نعود إلى العمل بهمة ونشاط، وإلى ذلك أشار الشاعر الجاهلي قديماً عبد الله بن جدعان حيث قال:

صاحي هل رأيت أو سمعت براعٍ *** رد في الضرع ما قرى في الحلاب

الأعوام تمر وتجري بنا بسرعة كبيرة، والأزمات والخطوط أحاطت بالأمة العربية والإسلامية من كل مكان، لكن المؤمن الحق والإنسان العاقل هو الذي لا يَتشاءم مما هو فيه، وإنما يفكر بأيامه القادمة، إنما يفكر بمستقبله ومستقبل وطنه القادم، لا ينبغي عليه أن يبكي على ما أصابه من حزن وأسى، لا ينبغي عليه أن يَجتر أحزان الماضي والمواقف المؤلمة التي تَعرض لها، بل إنما المؤمن دائماً يَتعامل مع الحياة بعزيمة وإصرار وإرادة لا تلين إلا لله الواحد جل جلاله،

ونحن اليوم كسوريين نَستقبل عامنا الجديد، ونحن على أبواب العام الجديد، نستقبل عامنا الجديد بكل تفاؤل وأمل، بكل عزيمة وهمة ونشاط، وبكل إرادة لا تلين، لا سيما وأن انتصارات جيشنا العربي السوري قد تحققت وتتحقق في كل مكان على أرض هذا الوطن الحبيب، إننا نستقبل عامنا الجديد بأمور ثلاثة: بانتصارات جيشنا العربي السوري، وبتعزيز المصالحات الوطنية، وبالمنظومة الأخلاقية التي أقرتها وزارة الاوقاف بأمر وتوجيه من سيد الوطن الدكتور بشار الأسد.

أما انتصارات جيشنا العربي السوري فقد صرح منذ أيام قليلة الكاتب العربي الكبير مُحَمَّد حسنين هيكل حيث قال: إن الجيش العربي السوري جَيش عظيم، كثيرون راهنوا على تفككه ثم سقوط الدولة، لكنه وعلى رَغم قساوة معركته المفتوحة التي تستنزف مع المجموعات المسلحة التي تَصب في مصلحة المستفيد الأكبر إسرائيل إلا أنه يحق انتصارات كبيرة في صمود أذهل العالم، الجيش العربي السوري غَيَّر المعادلات وأَربك التاريخ، وهذا يعني –وهنا بيت القصيد، اعلم أيها السوري هنا بيت القصيد– وهذا يَعني أن زمناً جديداً يُكتب من بوابات دمشق وحلب، نعم هنا سيُكتب الزمن من جديد، من بوابات دمشق عرين الأسود، ومن بوابات حلب، التي جعلت القزم أردوغان يرَكع أمام جبروت نبل والزهراء وهؤلاء العظماء والشرفاء من أهالي حلب.

نعم –يا سادة– كتب التاريخ أن الجيش العربي السوري هو أسطورة بكل ما تَعنيه وبكل ما تَحويه هذه الكلمة من معنى، وإنني أقول لكل من يَتطاول على جيشنا الأبي المعطاء: إذا أنت كنت تتطاول على الجيش العربي السوري، وتتفزلك بالمعنى العام، فأرني ماذا قدمت لوطنك، أرني أين أولادك، هل هم في ساحات القتال، أم هُم بين أحضان النساء، أَرني أين أولادك، هَل هُم في ساحات القتال يَقتلون دَاعش وفَاحش والنصرة، ويُدمرون كيان الإرهابيين الداعم لآل سعود أردوغان وقطر، هؤلاء الداعمين للإرهاب؟ لقد دمر جيشنا مُخططاتهم ومؤامراتهم، وقال للعالم:

كنا جبال في الجبال وربما *** سرنا على موج البحار بحاراً

كنا نقدم للسيوف صدورنا *** لم نخش يوماً غاشماً جباراً

أما المصالحة الوطنية فإنها أَثمرت بفضل الله عز وجل، وتحية إلى رجال المصالحة الوطنية المخلصين الشرفاء، لقد أثمرت المصالحة في حمص ودير الزور ودمشق وريفها، وفي درعا، لقد أثمرت نعم، والكثير من السوريين عادوا إلى حضن الوطن، وقالوا بالحرف الواحد: لقد أسأنا كثيراً لأنفسنا ثم

لوطننا عندما حملنا السلاح في وجه أبناء الوطن وعندما حملنا السلاح لدمار هذا الوطن، الكثيرون من أبناء الوطن لمن عادوا لحضن هذا الوطن قالوا هذه الكلمات، فالمصالحة الوطنية هي غايتنا دائماً واعلم أيها السوري إذا أردت أن تعيش حياة كريمة كما كنت سابقاً، وأن تعيش حياة آمنة ما عليك إلا أن تتكاتف مع أخيك السوري، إلا أن نكون يداً واحدةً في خندق واحد لكي نحارب الإرهاب وداعميه، لكي لا نركع إلا لله جل جلاله، لكي نقول للعالم جميعاً: هنا دمشق، هنا سورية، هنا الأسود، هنا الرجال، هنا أباة الضيم، هنا الذين لا يركعون إلا لله جل جلاله، ولنقول للشيشاني الذي يَعمل على تجويع أهلنا في الغوطة الشرقية، ويَقوم على إطعامهم من مادة الشعير، لنقول لهؤلاء الشيشانيين والسعوديين والقطريين وكل المرتزقة: اخرجوا أيها الحثالة من أرضي، اخرجوا من هنا، هنا أرضي، هنا بلدي، هنا أهلي، هنا شرفي، انتفض أيها الشعب السوري في وجه هؤلاء الذين أجاعوك، في وجه هؤلاء الذين هتكوا عرضك، في وجه هؤلاء الذين سرقوا دارك، وكونوا كما كان أهلنا في "كوباني" وكما هم أهلنا اليوم في "البوكمال" و "دير الزور"، تحية إلى أهلنا في الجزيرة، تحية إلى الشرفاء في "البوكمال" تحية إلى أهلنا في "دير الزور" الذين قالوا لداعش: إنكم صراصير، سندوسكم تحت أقدامنا، اغربوا عنا، هذه أرضنا، وهذه حياتنا، ولن نتخلى عن تاريخنا.

أما منظومة الأخلاق، منظومة الفضيلة التي أعلنت عنها وزارة الاوقاف بالمؤتمر الذي أقيم في الثاني والعشرين والثالث والعشرين من هذا الشهر الجاري، والذي جمع كبار علماء المسلمين، والذي جمع كبار رجال الدين المسيحي، تحت سقف المسجد في دمشق، لنقول للعالم بأسره: إننا كمسلمين ومسيحيين لن نتخلى عن موقفنا أبداً، ولن نركع لغدركم ولا لإرهابكم ولا لإجرامكم، سننطلق نحاربكم بأخلاقنا، أنتم حاربتمونا بالمرتزقة، بالسفلة والسلاح الفتاك المدمر، أنتم قطعتم الأجساد وحرقتم وقطعتم الرؤوس، وفعلتم ما فعلتم، أما نحن سنحاربكم بأخلاق مُحَّد بن عبد الله، سنحاربكم بالأخلاق النبوية، لكي نُبين لكم أنكم كذبة عندما تدعون انتمائكم وانتسابكم لرسول الله، سنعلمكم الأخلاق الحقيقية والدين الحق والخلق القويم، من دمشق، من هنا، عرين الأسود، وعرين الرجال، وعرين الشرفاء، الذين لا يَركعون إلا لله جل جلاله، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانيـ٢ـة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم مُلاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم زدنا ولا تنقصنا وأعطنا ولا تحرمنا، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً مريعاً سحاً طبقاً غدقاً مجللاً إلى يوم الدين، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، وأن تُثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تُسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.